تمثلات الموت في المقدمة الطللية شعر عدي بن زيد أنموذجا

زينب عبد الحسين حداد

جامعة ميسان – كلية التربية

أ.د. سعد محمد علي التميمي

الجامعة المستنصرية – كلية التربية

الملخص:-

يتناول البحث تمثلات الموت في المقدمة الطللية بوصفها معادلا موضوعيا للفقد، فبعد أن كان الشعراء أن يبدأوا قصائدهم بالغزل ثم الانتقال إلى أغراض أخرى مثل المدح أو الفخر أو الهجاء، كان بعضهم الآخر يبدأ قصائده بالوقوف على الأطلال، وعادة ما يكون الوقوف على الأطلال حالة من التذكر والحنين لحب قديم ولذكرى لقاء مع محبوبة، لكن حين ننظر للمقدمات الطللية عند "عدي بن زيد" نجد مفردة الموت تغلب عليها، وفكرة النهاية مسيطرة، فنرى مرادفاتها مثل "المنايا" و"المنون" و"الردى" وغيرها.

Summary:-

The research deals with the representations of death in the ruins introduction as an objective equivalent to loss, after poets used to start their poems by spinning and then move to other purposes such as praise, pride or satire, some of them started their poems by standing on the ruins, and standing on the ruins is usually a state of remembrance And nostalgia for an old love and the memory of a meeting with a beloved, but when we look at the ruins introduction of "Uday bin Zaid", we find the word "death" overcomes it, and the

idea of the end is dominant, so we see its synonyms such as "Al-Mannaya", "Al-Manon", "Al-Rada" and others.

الكلمات المفتاحية

المقدمة الطللية عدي بن زيد الموت

المقدمة:

كان من عادة الشعراء أن يبدأوا قصائدهم بالغزل ثم الانتقال إلى أغراض أخرى مثل المدح أو الفخر أو الهجاء وبعضهم كان يبدأ قصائده بالوقوف على الأطلال، وعادة ما يكون الوقوف على الأطلال حالة من التذكر والحنين لحب قديم ولذكرى لقاء مع محبوبة، لكننا حين ننظر للمقدمات الطللية عند "عدي بن زيد" نجد مفردة الموت تغلب عليها، وفكرة النهاية مسيطرة، فنرى مرادفاتها مثل "المنايا" و"المنون" و"الردى" وغيرها،لذلك ارتأينا أن نقف عند تمثلات الموت في المقدمة الطللية عنده.

تمثلات الموت في المقدمة الطللية:

تتضح فكرة الموت عند عدي في رثاء الذات لتتحول تلقائيا بعد البيت الأول من كل قصيدة، وكأنه كان يحس بقرب الموت، فيستحضره، فغالباً ما يلجأ لرثاء النفس عند احساسه باقتراب الموت في الحرب والأسر والسجن فيبدأ بتوديع الحياة واستذكار أطلالها عند ذاك يكون تحت سطوة الموت ثم يتخيل أثر موته في المقربين منه وبكائهم من (زوجة وأبناء) ولا ينسى أمجاده ومآثره التي سيذكرها الناس[١]، وهذا ما نراه في عدد من قصائد عدي التي يقف فيها على الأطلال فيقول[٢]:

أَتَعرِفُ رَسمَ الدَّارِ مِن أُم مَعبِدِ نَعَم فَرَمَــاكَ الشَّوقُ بَعــدَ التَّجَلُّــدِ

ظَلَلتُ بها أُسقَى الغَرامَ كأَنَّــما سَقَتني النَّدامــي شَربَةً لَم تُصَــرَّدِ

فَيَا لَكَ مِن شَوقٍ وَطائِفِ عَبرَةٍ كَسَت جَيبَ سِربالي إِلَى غَير مُسعــدِ

وعاذِلَةٍ هَبَّت بِلَيــلٍ تَلُومُنـــي فَلمَّا غَلَت في اللَّومِ قُلتُ لَها اقصِدي

يبدأ الشاعر بالزمن الماضي وما فيه من لحظات الوصال والغرام والتزود بالمحبة، والتمتع بالملذات، فذكر الطلل هنا هو حلقة وصل بين الحياة المتمثلة بالأيام والساعات التي تمتع فيها الشاعر بلذة الحب والعشق والغرام،وهي الآن اطلال يتذكرها الشاعر وهو يعيش الإحساس بالموت ليكون الطلل هنا رمزا لانتهاء الحياة والاستعداد لاستقبال الموت ولذلك راح الشاعر يؤكد ضرورة ان يبني له مجدا يبقيه خالدا بين الناس ثم ينتقل الى لوحة اللوم التي تمتد الى عدة أبيات يعبر من خلالها عن موقفه من الحياة والموت وما يفعله الأخير في عزيمة الرجال مهما وصلوا من مكانة في الدنيا، فهو لهم بالمرصاد وأن الخطاب الشعري يجيء بنوع من التدرج الفني المقصود عبر ما يسمى بالبنية الدائرية للنص وفي قوله[٣].

أَعاذِلُ إنَّ الَجــهلَ مِن ذِلَّةٍ الفَتَى وإنَّ الَمنايــا للرجـــالِ بِمَـــرصَـــد

أَعاذِلُ ما أَدنَى الرَّشادَ مِنَ الفَتَى وأَبعَـــدَهُ مِـــنــهُ إذا لَـــم يُسَـــدَّدِ

أَعاذِلُ مَن تُكتَب لَهُ النَّــارُ يَلقَهــا كِفَــاحاً ومَن يُكتَب لَهُ الفَوزُ يَسعَـــدِ

أَعاذِلُ قَد لاَقَيتُ ما يَزَرعُ الفَتَـــى وطابَقتُ في الحـجلَين مَشـــيَ الُمقيَّد

أَعاذِلُ ما يُـدرِيــكَ إلاَّ تَظــنُّنــا إلىَ ساعةٍ في اليَومِ أوفي ضُحَى الغَدِ

ذَريني فمَا لي ما تَقدَّمَ مِـن رَدىً وَما أشتَهي منهُ ومَا خَــفَّ عُـــوَّدي

ويتدرج الخطاب الشعري ليصل إلى شعرية الحكمة وهي النتيجة الفلسفية لمثل هذا النوع من الشعر، فـ(الحكمة تهدف إلى النصح والإرشاد والموعظة وتأتي تعبيرا عن تجربة ذاتية وعن طول تأمل وتبصر بأمور الحياة)[٤] وفي قوله[٥]:

وحُمَّـــت لِميقَاتٍ إلَـــيَّ مَنيّـــتي وغُودِرتُ إن وُسِّـدتُ أو لَم أُوَسَّدِ

فِللوارِثِ الباقي مِنَ المالِ فاترُكـي عِتابي فإنيِّ مُصِـــلحٌ غيرُ مُفسِدِ

أَعاذِلُ مَن لا يُصلِحِ النَّفسَ خالياً عَنِ الَحـــيِّ لا يَرشُد لِقَولِ الُمفَنِّـدِ

كَفَــى زاجِراً لِلمَـرءِ أَيَّـــامُ دَهـــرِه تَروحُ لَهُ بالواعِظـــاتِ وتَغتَـــدي

فالحكمة عند عدي بن زيد وليدة التجربة والمأساة الإنسانية لذا نرى الحكمة عنده في الغالب وعظية ذات خطاب إرشادي توجيهي، بها سمة النهي كما فيها من سمات الطلب والأمر، ولذلك نراه فيها يصل إلى نتيجة مفادها إلى أن مايحدث له ليس جديدا فمثله مثل كثير من الناس المبتلين في هذه الحياة ويتكرر ذلك في قوله(٦):

فَما أَنَا بِـدعٌ مشن أُنا حَــوادِثِ رِجالٌ أَتَت مِن بَعدِ بُؤسَى بأَسعُدِ

ووارِثِ مَجـدٍ لَم يَنَلهُ ومــــاجِـدَ صَابَ بِمَجدٍ طارفٍ غَيرِ مُتــلَــدِ

وَراجـــي أُمــورٍ جَمَّةٍ لَن يَنالَها سَتُشعِبـُه عَنها شَعوبٌ لِمُــلحَدِ

وهو نفس النهج الذي سار عليه شعراء الجاهلية من معاصري عدي ومن جاءوا من بعده، مثل "النابغة الذبياني" الذي يقول(٧):

مَن يَطلِبِ الــدَهرُ تُدرِكهُ مَخالِبُهُ وَالدَهرُ بِالوِترِ ناجٍ غَيرُ مَطلوبِ

ما مِن أُناسٍ ذَوي مَجـدٍ وَمَكرُمةٍ إِلّا يَــشُدُّ عَلَيــهِم شِدَّةَ الذيــبِ

حَتّى يُبيدَ عَلى عَمدٍ سَــــراتَهُـمُ بِالنافِذاتِ مِنَ النَبلِ المَـصاييبِ

فالشعر الجاهلي صورة للعصر والبيئة المتقلبة غير المستقرة، فالوقوف على الأطلال يفرضه نمط الحياة تفرض الارتحال من مكان الى آخر، وترك الذكريات المرتبطة بهذه الأماكن وما يثير النفس عند رؤيتها خالية من ساكنيها، وتذكر بالأيام التي جمعت فيها الأحبة لتصبح الاطلال صورة واقعية ذات دلالة نفسية في القصيدة وإن تحولت فيما بعد الى تقليد سار عليه كثير من الشعراء(٨)، إذ تأتي الأطلال في معظم القصائد من موقف الارتحال حيث يقف العربي المرتحل والمنتقل من مكان لمكان آخر ليرثي ويبكي المكان القديم الذي كان يعيش فيه فيما مضى من الزمن، ويسرد بعض مميزاته القديمة وما آل إليه حاله، وفي الغالب تثير الاطلال في الشاعر الإحساس بسطوة الدهر وقرب الأجل المحتوم، وهذا ما نجده في قصائد "عدي بن زيد" التي تأخذ صورة الاطلال قالب الحكمة، من خلال تعزيز مضامين وعظية إذ يقول(٩):

أيُّهَا الرَّكبُ المخِبُّونَ علَى الأَرضِ المجِدُّونَ

فَكَمَــــا أَنتُــمُ كُنَّــا وكَمَــا نَحــنُ تَكُونُونَ

فهو يؤكد دورة الحياة المستمرة وتبادل الأدوار فكما أن الطلال كانت تنعم بالحياة والمتعة، فإن الحياة الحاضرة ستؤول الى طلل في قابل الأيام،والشاعر هنا يقدم الفكرة بقالب الحكمة، ويوجه الخطاب لنفسه أولاً وللآخرين ثانياً، ويستحضر الأقوام السابقين وحضاراتهم المندثرة ويبدأ بسؤال وجودي فيقول(١٠):

أَينَ أَهلُ الدِّيــارِ مِن قَومِ نُوحٍ ثُمَّ عـادٌ مِن بَعدِهِم وثَمُــود

أَينَ آبــاؤُنا وأَينَ بَنـــُوهُـــم أَين آبــاؤُهُم وأَينَ الجُــدُودُ

سُلِكُوا مَنهَجَ المَـــنايا فبــادُوا وأَرانا قَد كـــانَ مِنّـا وُرُودُ

ثُمَّ لَم يَنقَضِ الَــحديثُ ولَكِن وعدَ ذا الوَعدُ كلُّــهُ والوَعيدُ

فالشاعر يتأمل الوجود ويقف عند دورة الحياة التي تبدأ من تعمير الديار وبناء الامجاد، وتنتهي عند مغادرة الحياة بحتمية الموت، فالصراع الذي يعيشه الإنسان بشكل عام والشاعر بشكل خاص يدفعه للسؤال الذي يتضمن الإجابة التي تؤكد أن مصير الانسان الى الفناء مهما عمر وبنى ويأتي تكرار السؤال ليعكس طبيعة الصراع الذي يعيشه في درب المنايا، ويتكرر ذلك في قصيدة أخرى يقول فيها(١١):

لمَنْ الدَّارُ تَعــفَّت بِخِيَـــم أَصبَحتَ غَيَّرَها طُولُ القِدَم

ما تَبينُ العَينُ مِن آيــاتِهــا غَـيرَ نُؤيٍ مِثلِ خَطٍّ بِالقَلَـم

صَالـحاً قَد لَفَّهَا فاستَوسَقَت لَـفَّ بَازِيٍّ حَمَاماً فـي سَلَـم

وثَلاثٍ كَالحــمَامَاتِ بهـــا عِندَ مَجثَاهُنَّ تَوشيمُ الفَحَم

فلم يكن السؤال عن عائدية الدار التى عفى عليها الزمن، إنه سؤال وجودي يبحث فيه عمن عاش في هذا المكان، ولم يبق منه سوى رسوم بالية لبقايا ذكريات،ودلالة الزمن هنا(القدم) الذي يسند اليه الشاعر فعل التغيير، فلم يبق من علاماتها سوى حفر شبهها بخطوط القلم وهذه صورة من مرجعيته المعرفية التي عرف بها، فالشاعر يؤرقه الدهر وتقلباته وفعله، وهو عادة ما يربط الطلل واندراسه بفكرة دائرية الزمن، وهنا تتضح تمثلات الموت والخوف منه من خلال لوحة الطلل بوصفها تعبيرا عن الفناء

والزوال والبقاء مجرد، وأحيانا قد لا يلجأ عدي الى ذكر الموت بشكل مباشر في المقدمة الطللية فيكتفي بذكر الراحلين وآثارهم الباقية أو الدارسة، فيقول(١٢):

تَعرِفُ أَمسِ مِن لَمِيس الطَّلَل مِثلَ الكتَابِ الدَّارسِ الأَحول

أَنعم صَبَـاحاً عَلقَمَ بنَ عَديّ أَثَوَيــتَ اليَــومَ أَم تَرحَــل

قَــد رَحَّلَ الفِتيــانُ عِيرَهُــمُ واللَّــحمُ بِالغيطَانِ لَم يُنشَـل

فالارتحال الذي يلازم الطلل غالبا يعد معادلا موضوعيا لفكرة الزوال والموت، ويتضح آثاره على المكان الذي يشبهه الشاعر بالكتاب الدارس في اشارة الى فعل الزمن وتعاقب الأيام عليه، ويبقى الاستفهام ايضا من لوازم الطلل للدلالة على الحيرة والقلق الذي يعيشه الشاعر فيسقطه على المكان، وتارة تتجلى فكرة الموت في مغادرة الأحبة المكان ليصبح قفرًا خاليًا من الروح كما في قوله(١٣):

أقفَرَ الحضرُ مِن نَضيرَةَ فالمر باعُ مِنها فجانِبُ الثَّرثَـارِ

إذ تَواصَوا بِالكَبشِ لَمّا أَحَـسُّـ وهُ وقالُوا مَعَ الحِذارِ حَذارِ

فعندما غادرت (نضيرة) ابنة ملك الحضر صار المكان مجردًا من الحياة لذلك يعدد الشاعر الأمكنة (الحضر، المرباع، الثرثار) وعند تمثل الموت في الطلل لا ينسى أن يتذكر أهله ومجدهم الغابر فيقول(١٤):

خفَّ القَطِينُ وأَخَــلفُوا أَربــي واعتادَني مِن ذِكرِهِم وصَبَي

واحتَلَّ أَهلــي بِالخَورَنقِ والــ حِيــرةِ واحتَلُّوا بِذي خُشُــبِ

ظَعَنُوا وأُتبعُهُــم عُــذافِــرَة حَــرفاً أَمُوناً سَهوَةَ الَخَبَــبِ

أجداً إذا رَفَعَ الأَمواتَ مَرَّ بِها وتَكَمَّشَــت كمَسرول سَبَــبِ

أَقضــي بِها أَربي وتُبلِغُنــي قابُوسَ أَهلَ المُلكِ والَحَسبِ

فقد اعتمد "عدي بن زيد" الحكاية الشعرية في سرد تفاصيل الطلل ووصف الأحداث والأشخاص الذين ضمهم الطلل في غابر الزمان، فمعظم المقدمات الطللية التي يكون الموت محورًا فيها، اعتمد

فيها على السرد القصصي، من خلال تفعيل بنية الحكاية داخل النص الشعري[١٥]، ففي هذه القصيدة يقف على أطلال أهله ومجدهم الغابر (الخورنق، الحيرة، ذي خشب)، ويسوق فيها مفردات العزة والكرامة، التي كانت تميزهم وتربطهم بالملك(قابوس)، وقد يتحدث عن أماكن مندثرة يربطها بأشخاص عاشوا فيها، ويورد بعض قصصهم وآثارهم مثل "كسرى أنو شروان" و"امرىء القيس" وغيرهم وقد سبق عدي بن زيد العبادي النابغة والحطيئة إلى الشعر القصصي، فهو قد نظم قصصا متنوعة مثل قوله[١٦]:

لم أَرَ كالفِتيـــانِ في غَبَنِ الــ أيَّامِ يَنسَــونَ مـا عَواقبُهَــا

ما يَغفــلُوا لَم يــكُن لهــم يَتَـمٌ في كلِّ صَرفٍ تِسعَى مآربُهِا

يَروَنَ إخوانَهــُم ومَصــرَعَهــمُ وكيفَ تَغتــالُهُم مَخالِبُهــا

ماذا تُرَجِّي النُّفوسُ مِن طَلَبِ الـ خَيرِ وحُبُّ الَحياةِ كــاذِبُهــا

تَظُنُّ أن لَن يُصِيبَــها عَنَتُ الــ دَّهرِ ورَيبُ الَمنُونِ كارِبُهــا

ما بعدَ صَــنعاءَ كانَ يَعمُرُهــا ســاداُت مُلكٍ جَزلٌ مَواهِبُهــا

فالشاعر هنا يقف عند عواقب الأيام التي قد يغفل عنها بعضهم فصروف الدهر تسعى دائما لتحقيق مآربها فيستعير للأيام المخالب في إشارة الى حتمية هذه العواقب ومهما حاولت النفوس التمسك بالحياة فإن هذا الحب كاذب،وهو في باب الظن فالموت (ريب المنون) هو مصدر الحزن الألم، وقد يستعين الشاعر بالتاريخ لتأكيد تلازم الطلل بالفناء والموت إذ يقول في مطلع إحدى قصائده[١٧]:

أرواح مودع أم بكـــور لك؟ فاعمد لاي حال تصير

فهذه القصيدة تحمل إشارات تاريخية كثيرة للملوك مثل كسري وبني ألصفر وأخي الحضر، داعيا إلى الاعتبار من الأحداث التي توالت عليهم وإعداد الزاد للآخرة، وهنا يوظف الاتجاه القصصي من خلال الافادة مما يمتلكه من معرفة فقد تزود من معارف الجاهلية وخرافاتهم ورواياتهم فضلا عن القصص الديني الشائع بين أهل الكتاب في ذلك الوقت، مما جعله يخوض في الشعر القصصي وسار على خطاه أمية بن أبي الصلت وغيره من الشعراء بعد ذلك[١٨] ويورد الجاحظ في معرض كلامه عن أمية بن أبي الصلت (إن قلت أن أمية كان إعرابيا وكان بدويا، وهذا من خرافات أعراب الجاهلية، وزعمت أن أمية لم يأخذ ذلك عن أهل الكتاب فإني شأنشدك لعدي بن زيد وكان نصرانيا ديانا وترجمانا

وصاحب كتب، وكان من دهاة أهل ذلك العصر)[١٩] وتتسم رؤية "عدي بن زيد" بالتشاؤمية التي تصل إلى حالة من اليأس من الحياة ومن كل ما فيها، كما في قوله[٢٠]:

إذهَبي إنَّ كُلَّ دُنيَا ضلالٌ والأَمانِيُّ عُقرهُا لِلتَّبَابِ

لا يَرُوقَنكَ صائِرٌ لِفَنَـــاءٍ كُلُّ دُنيا مَصيرُها لِلتُّرابِ

وقوله أيضا، وهو يبكي الديار[٢١]:

رُبَّ دارٍ بأَسفَلِ الجِزعِ مِـن دَو مَةَ أَشهَى إلـــيَّ مِن جَيــرُونِ

ونَدامَى لا يَفرحُونَ بِمــا نَـــا لُوا ولا يَرهَبُونَ صَرفَ المَنُونِ

قَد سُقيت الشَّمُول في دارِ بِشرٍ قَهوَةً مُـــرَّةً بِمَاءٍ سَـخيـــن

إذ يفضل الشاعر الدار البسيطة التي تحمل الذكرى الجميلة على القصور(جيرون) وقد يصل الأمر إلى حالة من رثاء الذات، فتغدو الذات – في حد ذاتها– طللا يقف الشاعر على أطلال أزمنتها الغابرة، فيبكي الشباب الضائع والعمر الذي انقضى في الأوهام وهذا ما نلمحه في هذه الطللية الذاتية[٢٢]:

بَانَ الشَّــبابُ فما لَـــهُ مَـردُودُ وَعلَيَّ مِن سِمة الكَبيرِ شُهــودُ

شَيبٌ بِرَأسي واضِـــح أُعقبتُــهُ مِن بَعدِ آخــرَ بَانَ وَهوَ حَميــدُ

وأَرَى سَوادَ الرَّاسِ يَنقُصُهُ البِلَى والشَّيبُ عَن طُولِ الَحيــاةِ يَزيدُ

فإذا كان شعر الوقوف على الأطلال في الشعر الجاهلي يقوم على رؤية فلسفية عمادها السؤال عن جدوى الحياة، فإن عدي بن زيد كان يتوسل بالوقوف على الطلل لبثّ ما في نفسه العذبة من آلام وأوجاع وأوصاب[٢٣] وربما هذا ما نجده في قصيدته التي يقول فيها[٢٤]:

فَبِتُّ أُعَدِّي كَم أَسَـافَــت وغَيَّرَت وُقُوعُ المَنُونِ مِن مَسُودٍ وَسائدِ

صَرَعنَ قُباذاً رَبَّ فــارِسَ كُلِّهــا وَحَشَّت بأَيـديهـا بَوارِقَ آمِـــدِ

عَصَفنَ عَلَى الَحيقار(*) وَسطَ جُنودِهِ وبَيَّتنَ فـــي لَذَّاتِـــهِ رَبَّ مــارِدِ

وجِئنَ بِتُرْكٍ مِن قَرارِ بِــلادِهِــمِ يَسيرُ بِجَمعٍ كــالدَّبَا الْمُتَسانِــدِ

وأَخرَجنَ يَومَ الَحوصِ سَيِّدَ حِميَرٍ بِحَرِبَةِ جِّنيٍّ مِن الَــحبشِ حارِدِ

ومُلكُ سُليمَان بنِ داودَ زُلِّــزلَــت وريدانَ قَد أَلحَــقنَهُ بالصَّعائــدِ

فشعر "عدي بن زيد" تكثر فيه مناجاة الديار وتجسيدها فهو يؤنسنها وكأنها بشر تحس وتشعر، ودائما ما يسألها عن الراحلين الذين كانوا يقيمون فيها، وهذه سمة من سمات الشعر الجاهلي خاصة في الوقوف على الأطلال إذ اعتاد الشعراء في وقوفهم على الأطلال مناداة الديار وسؤالها عن أهلها الذين ارتحلوا عنها، وهم لم ينتظروا الجواب لأنه حاضر في نفوسهم فصمت الديار هو الموت الذي طالما ارّق الشعراء[٢٥]، ويرجع ذلك لارتباط العربي القديم بالمكان، حيث كانوا العرب في الجاهلية أهل فصاحة وبلاغة وأن الأماكن التي يعتريها الجاهليون هي بمثابة الأوطان الغير ثابتة، وأنما مؤقتة يغادرون منها بمجرد أن يجدوا أوطانًا أخرى توفر لهم كل ما يحتاجونه في حياتهم من ماء ومأكل أو وجود حبيبين من قبيلتين يتبادلان شعورًا حقيقيًا،واذا ما انقلبت الأمور فلا مجال الا للبكاء لفراق المحبوبة وصمت المكان بعد مغادرته هو البكاء على الوطن المتنقل الذي يكون بمثابة الوطن الصغير ولكن تتلاشى المعطيات ويستبدله بوطن آخر، لهذا نجد أن الأماكن قد حجبت جذوة الشعراء وظلت تشكل ألمًا عسيرًا إذ لم يجد فيها الحياة السكينة والملائمة فتبدى مشاعر القلق وعدم الثقة وخوفه من الفناء الأبدي، كالبكاء الذي يعد مؤشرا على خصب المكان وسقيه لكي تعود اليه الحياة والنماء[٢٦].

ومن لوازم الطلل عند الشعراء الدعوة إلى البكاء: فالأطلال والبكاء تجمعهما علاقة وطيدة، لأن في البكاء حزن واسترجاع لحياة ماضية ولذكريات قديمة، فيكون الوقوف على الأطلال دعوة إلى البكاء، ومن أشهر من استعمل هذه الطريقة امرؤ القيس والأعشى وعدي بن زيد[٢٧]، أما السمة الثانية فهي أنسنة المكان: أي تشبيه الأماكن بالإنسان ومنحها صورًا لتكثيف الأحاسيس، ومخاطبة مفردات الطبيعة الدارسة مثل الحجارة والجمادات، مما يضفي على الأماكن معاني ذات صبغة وجدانية، أضف إلى ذلك وصفها ببعض الصفات الإنسانية، بحيث يصبح المكان بمثابة شخص له مكونات بشرية، فتكثر شعرية السؤال الشعري الذي يؤدي دورًا محوريًا في القصيدة فالشاعر يطرح السؤال على الأحجار أو الأشجار وغيرها من مفردات المكان الذي رحل عنه أهله، والجواب الذي في الغالب يكون حاضرًا في ذهنه، وقد كان عدي يعيش حالة من القلق التي جعلته يتحصن بالماضي لمواجهة الواقع بما فيه من مؤامرات ومكائد، حتى في لحظات فخره نجد حالة الشجن تسيطر عليه[٢٨] مثل قوله[٢٩]:

وفَتىً مِن دَولَـــةٍ مُعــجِبَةٍ سُلِبَت عَنـهُ وللـــدَّهــرِ دُوَل

كيفَ يَرجُو الَمرءُ قُوتاً للرَّدَى وَهيَ في الأَسبابِ رَهنٌ مُختَبَل

كُلَّمَا خَلَّــفَ يَومــاً فَمَضــَى زادَهُ ذَلِــكَ قُربــــاً لِلأَجَـــــل

فَـوَّقَ الـدَّهرُ إلينا نَــبلَــهُ عَـلَلاً يَقصــِدُنا بَعــــدَ نَهَــل

إذ يتعجب ممن ينتظر ما يجعله يصد سطوة الردى والدهر متربص به فهو يكيل لهم النكبات والمآسي إذ يصبح الدهر كالرامي الماهر الذي يجيد اصابة أهدافه من البشر، وبعد هذه الشكوى من الدهر ينتقل إلى التوسل والرجاء طالبًا من زائريه في معتقله أن يتوسطوا له عند النعمان بن المنذر كي يفك قيده ويعيده لمكانته التي كان عليها، ودائما تنتهي لحظات الوقوف على الطلل عند "عدي بن زيد" بإيراد الحكمة حول موقف الإنسان الوجودي، من مثل قوله[٣٠]:

كفى زاجراً للمــرءِ أيّــامُ دهره تروحُ له بالواعظاتِ وتغتدي

فهذا البيت ختم به لوحة اللوم التي جاءت بعد لوحة الطلل والكلام موجه لزوجته التي تلومه على عطائه الذي يقدمه للمحتاجين وقد جاء به في قالب الحكمة التي يؤكد فيها أن المرء يكفيه زجر الأيام التي تروح عليه وتغتدي.

الخاتمة

بعد استقرائنا لتوظيف الطلل في قصائد عدي بن زيد، نؤكد أن جدلية الحياة والموت كانت حاضرة بشكل واضح وكبير في المقدمات الطللية، وفي الغالب كان الموت حاضرا من خلال السكون والارتحال والخراب الذي وقف عنده الشاعر، أما الحياة فهي، برأيه، مدبرة أو على وشك الادبار، ولذلك يذكر الآخرين بمحدودية حيزها وجاءت تمثلاتها في الذكريات التي يسترجعها الشاعر عن مظاهر الحياة التي كان في هذه الأمكنة التي اضحت اطلالا.

الهوامش

(١) ينظر: الموت في الشعر الجاهلي، محمد عبد السلام، ص٦٣.

(٢) ديوان عدي بن زيد: ص١٠٢.

(٣) ديوان عدي بن زيد: ص١٠٣.

(٤) الحكمة في الشعر العربي: سراج الدين محمد: دار الراتب الجامعية- بيروت ١٩٨٧، ص٥.

(٥) ديوان عدي بن زيد: ص١٠٣-١٠٤.

(٦) ديوان عدي بن زيد: ص١٠٤-١٠٦.

(٧) ديوان النابغة الذبياني: شرح وتقديم: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٩٩٦، ص٧٦.

(٨) ينظر: شعر الوقوف على الأطلال: -د. عزة حسن- دمشق- ١٩٦٨- ص١٠.

(٩) ديوان عدي بن زيد: ص١٨٠.

(١٠) ديوان عدي بن زيد: ص١٢٢.

(١١) المرجع نفسه: ص٧٣.

(١٢) ديوان عدي بن زيد: ص١٥٧.

(١٣) ديوان عدي بن زيد: ص١٣٥.

(١٤) المرجع نفسه: ص٨٠.

(١٥) ينظر: توظيف الموروث في شعر عدي بن زيد العابادي وأمية بن ابي الصلت الثقفي: سناء احمد سليم، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، ٢٠٠٤، ص٣٩٤.

(١٦) ديوان عدي بن زيد: ص٤٥، ٤٦.

(١٧) ديوان عدي بن زيد: ص ٨٤.

(١٨) ينظر: توظيف الموروث في شعر عدي بن زيد وامية بن ابي الصلت، سناء احمد سليم، ص٣٩٥.

(١) كتاب الحيوان: الجاحظ - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣- الجزء الرابع ص ١٩٦.

(٢٠) ديوان عدي بن زيد: ص١١٧.

(٢١)ديوان عدي بن زيد: ص ١٨٦.

(٢٢ ديوان عدي بن زيد: ص١٢٣.

(٢٣) ينظر: صورة العمران الدائر في الشعر الجاهلي، حسن فالح البكور، عيسى قويدر العبادي، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والانسانية، الاردن، المجلد ٤، العدد ١، ٢٠٠٧، ص١٤٩.

(٢٤) ديوان عدي بن زيد: ص١٢٤،١٢٥.

(*) الحيقار: ملك من ملوك الفرس.

(٢٥) ينظر: شعر الوقوف على الأطلال من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث: د. عزة حسن، دمشق، ١٩٦٨، ص٢٣.

(٢٦) ينظر: دلالة المكان في الشعر الجاهلي: د. بن بغداد أحمد، مجلة المعيار، ع١٧، ٢٠١٧، ص١٧٤.

(٢٧) ينظر: تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي)، شوقي ضيف، ص ١٨٣.

()٢٨ ينظر: المكان في المقدمات الطللية في شعر المعلقات (دراسة نقدية تحليلية)، احسان محمود سليمان، مجلة البحث العلمي في الاداب (اللغات وآدابها)، جامعة تبوك، ٢٠٢٠، ص ٢١٠.

()٢٩ ديوان عدي بن زيد: ص٩٩.

(٣٠) ديوان عدي بن زيد: ص١٠٤.

المصادر:

١. تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي)، شوقي ضيف.

٢. توظيف الموروث في شعر عدي بن زيد العابادي وأمية بن ابي الصلت الثقفي: سناء احمد سليم، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، ,٢٠٠٤

٣. توظيف الموروث في شعر عدي بن زيد وامية بن ابي الصلت، سناء احمد سليم.

٤. الحكمة في الشعر العربي: سراج الدين محمد: دار الراتب الجامعية– بيروت ,١٩٨٧

٥. دلالة المكان في الشعر الجاهلي: د. بن بغداد أحمد، مجلة المعيار، ع١٧، ,٢٠١٧

٦. ديوان النابغة الذبياني: شرح وتقديم: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٩٩٦,

٧. شعر الوقوف على الأطلال من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث: د. عزة حسن، دمشق، ,١٩٦٨

٨. شعر الوقوف على الأطلال: –د. عزة حسن– دمشق– ,١٩٦٨

٩. صورة العمران الدائر في الشعر الجاهلي، حسن فالح البكور، عيسى قويدر العبادي، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والانسانية، الاردن، المجلد ٤، العدد ١، ,٢٠٠٧

١٠. كتاب الحيوان: الجاحظ – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣– الجزء الرابع.

١١. المكان في المقدمات الطللية في شعر المعلقات (دراسة نقدية تحليلية)، احسان محمود سليمان، مجلة البحث العلمي في الاداب (اللغات وآدابها)، جامعة تبوك، ,٢٠٢٠

١٢. الموت في الشعر الجاهلي، محمد عبد السلام.